Al Wasl University Journal - Issue (67) - December 2023
ISSN 2791-2949 (Online)

Calls for Rejuvenation in the Arabic Rhetoric

Dr. Hana Khalil - Isra University, Amman, Jordan
Dr. Rula Yousef - Islamic Scientific College, Amman, Jordan

https://doi.org/10.47798/awuj.2023.i67.09

Received: 22-10-2021

Accepted: 17-02-2022

Published: 01-12-2023

Corresponding Author:

Hanakhalil78@hotmail.com

Abstract

This study aims at tracking the calls for rejuvenation in Arabic rhetoric. It is an attempt to clarify the extent to which Arabic rhetoric can cope with modern critical approaches and linguistic studies. For this purpose, the study reviews the critics' opinions about the modern era and discusses the calls that they advocated employing inductive and analytical methods. The study was purposefully divided into sections. It begins with a preface presenting the efforts that the ancient rhetoricians made in Arabic rhetoric and highlighting its importance in literary studies. Then it discusses the calls for rejuvenation advocated by contemporary critics in three main sections: The first is the rejuvenation of the heritage, the second is objections to rhetoric, and the third is linking Arabic rhetoric to Western criticism and modern linguistic studies. Finally, the study concludes with the most important findings. Undoubtedly, this study adds new contributions to the rhetorical field by organizing the calls of critics and rhetoricians in specific frameworks and identifying their points of view regarding Arabic rhetoric in the past, passing through the modern era, and then the rejuvenation that occurred.

Keywords: rhetoric, rejuvenation, western criticism, ALkhouli, pragmatics

دعوات تجديد في البلاغة العربية

د. **هناء عمر خليل** - جامعة الإسراء-عمّان-الأردن
د. **رلى يوسف عصفور** - الكلية العلمية الإسلامية - عمّان-الأردن

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع دعوات التجديد في البلاغة العربية، وتتضح الإشكالية التي يثيرها البحث في مدى قدرة البلاغة على مواكبة المناهج النقدية الحديثة والدراسات اللسانية، لذلك جاءت هذه الدراسة لتستقرئ آراء النقاد في العصر الحديث ومناقشة الدعوات التي نادوا بها، على وفق المنهج الاستقرائي والتحليلي، فاستلزم ذلك تقسيم الدراسة إلى تمهيد يشير إلى جهود البلاغيين القدماء في علم البلاغة وبيان أهميته في الدراسة الأدبية، ثم عرض دعوات التجديد للنقاد المعاصرين في ثلاثة مباحث رئيسة؛ الأول تجديد التراث، والثاني موقف من البلاغة، والثالث ربط البلاغة بالنقد الغربي وبالدراسات اللسانية واللغوية الحديثة، ثم الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج والخلاصات. ولا شك في أنّ مثل هذه الدراسة تضيف للدرس البلاغي إسهامات جديدة من خلال تنظيم دعوات النقاد والبلاغيين في أطر خاصة، وتحديد النظرة إلى البلاغة العربية قديما، مرورا بالعصر الحديث ومدى التجديد الذي أصابه.

الكلمات المفتاحية: البلاغة- التجديد- النقد الغربي- الخولي- التداولية

© 2022 AWU Publishers/Alwasl University. All Rights Reserved.

المقدمة

مشكلة البحث

تكمن المشكلة الأساسية التي يعرض لها البحث في مدى مواكبة البلاغة العربية لدعوات التجديد التي نادى بها النقاد والبلاغيون في العصر الحديث، وقدرتها على التشكل على وفق الدرس النقدي الحديث، الذي تعالت فيه صيحات التغيير في العالم العربي، ومدى تأثره بالتيارات الألسنية في الفكر الغربي.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تتبع أفكار البلاغيين والنقاد القدامى في البلاغة العربية باعتبارها علما نشأ في حضن الدراسات القرآنية، ثم تطورت لتدخل في الدراسات الأدبية والنقدية.

ومن خلال التتبع التاريخي لمفهوم البلاغة وعناصرها الرئيسة، تسعى الدراسة كذلك إلى عرض أهم الآراء للنقاد في العصر الحديث، وإبراز موقفهم من البلاغة العربية، مع الحرص على إبراز مدى تقارب مواقفهم وابتعادها بحسب أفكارهم وتصوراتهم النقدية ومدى تشربهم بالفكر الغربي الألسني، من جهة، والحاجة الماسة للتغيير في أرضية الدراسة الأدبية واللغوية في العالم العربي من جهة أخرى.

فرضيات البحث

ينطلق البحث من الفرضيات التي يمكن إبرازها في الأسئلة الآتية:

١- ما أهم عناصر البلاغة العربية ومقوماتها عند النقاد القدامى؟

٢- كيف استقبل النقاد في العصر الحديث التراث البلاغي القديم؟

٣- ما مدى إسهام البلاغة الجديدة في الدرس الألسني، وحال المتكلمين بما يعرف بنظرية السياق؟

٤- ما أوجه التقارب بين البلاغة العربية القديمة وعلمي الأسلوبية والتداولية في الدرس البلاغي الحديث؟

٥- هل يمكن تطويع البلاغة التقليدية لمستجدات الدراسات اللسانية الحديثة من غير الإخلال بقيمتها التراثية وعناصرها الرئيسة؟

الدراسات السابقة

دراسة بعنوان «قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية» للدكتور «الشارف لطروش»، المنشورة في مجلة حوليات التراث، العدد١٦، ٢٠١٦: تناولت آراء الباحثين العرب في علم البلاغة العربية، وتحددت وجهات نظرهم، فمنهم من دعا إلى تجديدها، ومنهم من دعا إلى تطويرها، ومنهم من دعا إلى تيسيرها. وهذه الدراسة وإن كانت الأقرب لموضوع دراستنا إلّا أنها لم تتعرض للتغير الذي أصاب البلاغة في العصر الحديث ولا سيما بمقاربتها بالدراسات النقدية الغربية.

رسالة دكتوراه بعنوان «التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث»، لـ«منير محمد خليل ندا»، المشرف د. علي العماري، مصر، ٢٠١١: تعرض الباحث في هذه الرسالة إلى بيان مميزات البلاغة العربية القديمة وأهميتها، وتتبع جهود البلاغيين أمثال السكاكي، وعبد القاهر الجرجاني، والقزويني، وغيرهم في خدمة البلاغة، وأفردت الدراسة الحديث عن بوادر التجديد عند الخولي وأحمد أمين، ثم عرض لاتجاهات التجديد ومظاهره في العصر الحديث، ولم يغفل الباحث عرض المعارك الأدبية بين المجددين وغيرهم في نظرتهم للبلاغة العربية. وتفتقر هذه الدراسة على أهميتها وشمولها إلى ذكر المؤثرات الغربية التي طوّعت البلاغة العربية ولا سيما الدرس التداولي الحديث.

تمهيد

لم يكن الدرس البلاغي في عصوره كلها وفي مختلف أحواله بمنأى عن علوم أخرى وفنون متعددة، وإنما ظل لصيقًا ببعضها. ومن هنا بدأ مظهر التلاقح والتأثر؛ فالبلاغة تمد بكل ما تتميز به إلى تلك الفنون فتحصل بذلك لحمة أقوى ما تكون في جمالها وأدبها وثقافتها. والأصالة البلاغيــة تكمـن بـذلك التراث العظيم الذي وضعه علماء البلاغة في عصور سلفت من أقوال، وتعاريف، ومصطلحات، وقواعـد، وأسس؛ كلها تضافرت لتكون أساسا متينا لذلك العلم الذي مهما حاول المحدثون التنكر إليه، وهم لا بد دائرون في فلكه آخذون جذور علومهم منه.

مؤسس علم البلاغة العربية هو الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الذي وضع كتابه «البيان والتبيين»، إذ نثر فيه كثيرا من ملاحظاته، وملاحظات معاصريه، وتعمّق وراء عصره، فحكى آراء العرب السابقين، والتمس آراء بعض الأجانب وسجلها[١]، ولم يستغن بلاغيّ بعده اتسع في دراسته إلا وارتكز في نواة علمه على ما أتى به هذا العالم من أصول. وقد كثرت الدلالات البلاغية عنده تحت مُسمّى البيان، ومنها ما قاله عن تعريف البيان أنه «اسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيّ جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[٢]، فالغاية من البيان عنده إيصال المعنى إلى السامع بحيث تتحقق شروط الرسالة اللغوية في الفهم والإفهام، ويلاحظ أيضا أنّ الجاحظ في تعريفه السابق يركز على

١- يُنظر: ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٦٥، ص٥٨.
٢- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ج١، دار الجيل، بيروت، ط٢، د.ت، ص٧٦.

الرسالة الشفوية التي يوصلها القائل إلى السامع .

وأول ما يصدق من وصف للبلاغة بأنها تلك الجمالية التي تكتنفها، فقد ظلت هذه الجمالية لصيقة بها مميزة لها، تُلتمس جوانبها عند عدد من البلاغيين القدماء. فالعسكري (ت ٣٩٥هـ) حينما قال: «يسمّى الكلام الواحد فصيحا بليغا إذا كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيد السبك، غير مستكره فجّ، ولا متكلف وخم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء؛ لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف»[١]، وما هذا إلا تعبير عن جمال المحكيّ في تضافر الصوت واللفظة المفردة التي تؤدي معنى رائقا بها تتحقق جمالية العبارة وذوقها الرفيع .

أما عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ) فقد تميز عن بلاغيي عصره وما بعده في تلمّس جماليات الأسلوب في صورتين أساسيتين: الصورة الأدبية الممثلة بالاستعارة والكناية، والتركيب اللغوي الممثل بعلم المعاني، وقد استطاع من خلال نظرية النظم أن يُقارب معطيات النقد الغربي بدءا من الأسلوبية في طريقة النظر إلى النصوص الأدبية، وتعني نظرية النظم لديه «أن اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأن الكلم تترتّب في النطق بسبب ترتّب معانيه في النفس، وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرّد أصواتا وأصداء حروف لما وقع في ضمير ولا هجس في خاطر»[٢]. وهذه المزية في تراتب الألفاظ بحسب معانيها في النفس دون النظر إلى الدلالات الجزئية للكلمة أو أصوات الحروف قدّمت إرهاصا لتجاوز النظرة الجزئية لحدود الجملة في الدراسات البلاغية إلى نظر أعمّ يشمل النصّ الأدبي بأكمله، كما أن معطيات البلاغة التي درسها الجرجاني في قضية المعنى ومعنى المعنى، جعلته يتجاوز التأثير المنطقي القائم على التقسيمات والتفريعات التي

١- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢، د.ت، ص١٤.

٢- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، ، دمشق، ط١، ٢٠٠٧، ص١٠٢.

أرهقت البلاغة وكستها بجمود واضح.

ويعد السكاكي من أهمّ البلاغيين القدامى الذين وجهوا دراستهم للبلاغة على نحو علمي تسوده التقسيمات والتفريعات، حتى يمكن القول إنّ البلاغة في بابيها المعاني والبيان نالت اهتماما واسعا لدى السكاكي من حيث إثراؤه خواصّ كل باب بفروع دقيقة يغلب عليها التقعيد والجمود، ليخلص إلى القول بتعريف شامل للبلاغة، في أنها «بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّا له اختصاص بتوفية خواصّ التراكيب حقّها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها»[1]. ولذلك نجده لا ينفك يورد أمثلة من القرآن ليعزز فكرة أبواب البلاغة التي ارتآها في منهجه العلمي، من غير أن يظهر أثر البلاغة في نفس المتلقي ومدى استجابته للكلام البليغ. وهذا ما جعل منهجه العلمي الصارم «طلاسم لا يقبل عليها الذوق، ولا ترتاح لها النفس، فهو بذلك أفسد الذوق الأدبي العام، وكأن العلم أمسى أدبا، وكأن من خصائص العلم أن لا يكون معقدا ومعسّرا»[2]، الأمر الذي يصبح الأدب شعره ونثره مجرد نماذج تخضع لمعايير جزئية دقيقة ومقاييس علمية يحكمها المنطق لا الذوق.

وها هو ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) أيضا يعرض هذه الفلسفة الفنية بمسمّى الذوق، إذ يقول: «واعلم - أيها الناظر في كتابي - أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم، وإذا سألت عما ينتفع به في فنه قيل لك هذا، فإن الدربة والإدمان أجدى عليك نفعا»[3].

وإذا كانت البلاغة تنحو منحى جماليا باعتمادها الذوق وسيلة لبلوغ الغاية،

١- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص٤١٥.
٢- مرتاض، عبد الملك، نظرية البلاغة، دار القدس العربي، الجزائر، ط٢، ٢٠١٠، ص٦٨.
٣- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٩، ص٥.

فإن ارتباطها بالأدب وثيق جدا، «فالبلاغة من بين العلوم الأدبية هي روح الأدب والأدب مادتها، تعلم صنعه وتبصر بنقده»[١]، فهذا الارتباط بين البلاغة والأدب من القضايا التي يقدمها الدارسون المحدثون في إطار واحد.

وفي العصر الحديث برزت تيارات نقدية غربية صبّت أفكارها في قالب البلاغة العربية في اللحظة التي كانت البلاغة تجد في بيئتها الحديثة اتجاهات عربية تدعو إلى الثورة عليها، وبعضها الآخر يسعى إلى الدفاع عنها مع محاولة تطويع لها لتتناسب وتلك التيارات الوافدة من الغرب.

ولا بدّ من الإشارة إلى قطبي البلاغة من مرسل ومتلق في أول بدايتها، إذ كانت تعتمد على نظرية الاتصال الشفاهي، فكانت الكلمة توقِع في قلب سامعها تأثيرا يفي بالغرض. وقد ظهرت الضرورة لهذا النمط من الاتصال الشفاهي في عصرنا الحالي الذي امتلأ بمغريات العصر وملذاته من صحافة وسينما. فظهرت الحاجة لعنصري الصوت والإشارة للتأثير في المتلقي، أكثر من الحاجة للاتصال الكتابي؛ «نظرا لهيمنة الإرسال التلفزيوني والإرسال الإذاعي على مجتمع نصفه تقريبا افترسته أمية القراءة والكتابة، ومعظم نصفه الآخر أعيته أمية الثقافة والفكر»[٢]. وهذا ما يؤكد تأكيدا لازما أن البلاغة أداة تطويعية في الثقافة التي توجد فيها، وهي أداة مرنة لمن يجيد استخدامها، كما أنها آلة عقيمة لمن لا يتذوق جمالها، وإن دلّ هذا على شيء، فإنه يدلّ على أن مظهر التوافق بين القديم والحديث في نظرتهما للبلاغة ما هي إلا نظرة تعكس روح الأمة وثقافتها الراهنة وحضارتها المعاصرة.

ومن الجدير بالذكر أن الساحة الأدبية في عصرنا الحاضر امتلأت بمختلف الدعوات التي تعالت صيحاتها، ورفعت شعاراتها بشأن البلاغة العربية وموقعها

١- أبو علي، «محمد بركات»، حمدي، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير، عمّان، ط١، ١٩٨٣، ص١٥٣.
٢- عبد المجيد، جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٤٩-١٥٠.

في تلك الحضارة الراهنة التي تحياها. وقد تعددت مبادئ تلك النظرات الجديدة واختلفت غاياتها، فمنها من استقى من أصالة الموروث البلاغي واعتمادها أساسا لوصله بالحاضر، وتجديد ما يستدعي ذلك لتوائم روح العصر وثقافة الأمة، ومنها من أفاد بنظريات النقد الوافدة من الغرب لتبلور لنفسها إطارا فيه جدة وحداثة توازي ما في تراث القدامى من تميز.

وبناء على ما سبق، فقد جرى تقسيم تلك الدعوات إلى ثلاث فئات انتظمت مشاربها، وتشابهت وسائلها في نظرتها للقديم، واستقائها من الغرب الوافد، على وفق المنهج الاستقرائي والتحليلي في عرض الآراء ومناقشتها، مع العلم أنّ القارئ قد يجد بعض مظاهر التماثل والامتزاج في تلك الدعوات الثلاث، إلا أنها -في الحقيقة- اختلفت في طبيعة الموقف وخصوصية النظرة.

المبحث الأول: تجديد التراث

تتفق هذه الدعوات في المحافظة على التراث البلاغي الضخم، ومحاولة الإفادة منه في بعض الآراء والنظريات مع تجديد لبعضها الآخر، في محاولة لتطويعها لمستجدات التجربة الإنسانية، ومظاهر الثقافة المعاصرة. وأولى هذه الدعوات التجديدية ما يُنادى به أمين الخولي، حيث يرى أن للتجديد الأدبي غرضان: الأول قريب، وهو تسهيل دراسة المواد الأدبية، وتقليل ما يبذل فيها من جهد ووقت، مع تحقيق المطلوب من ورائها تحقيقا عمليا، بحيث يمكّن كل دارس لها أن يظفر في وقت مناسب. بما يستطيع معه استعمال اللغة في حياته، والثاني بعيد، وهو أن تكون هذه الدراسات الأدبية مادة من مواد النهوض الاجتماعي تتصل بمشاعر الأمة، وترضي كرامتها الشخصية، وتساير حاجتها الفنية المتجددة[1].

ويستهل رأيه في مفهوم البلاغة عند القدماء، بأنها «مطابقة الكلام لمقتضى

١- يُنظر: الخولي، أمين، فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦ص٦٣.

الحال»، ويرى أن هذا المفهوم لا يتوازى مع تلك الصورة الأدبية التي نجدها عند المحدثين الذين عدّوها من الفنون الجميلة؛ كالرسم والموسيقا، وينتهي إلى القول بأن فن البلاغة يقدم بصورة أنضر وجها، وهذا ما دعاه إلى أن يعرف البلاغة بأنها فن القول.

ثم نجده يصرّح بمحاولة تجديدية أخرى في دائرة البحث البلاغي عند القدامى في تقسيمهم البلاغة إلى مقدمة وثلاثة علوم، هي المعاني، والبيان، والبديع، فنراه ينتقد ما نتج عن هذا التقسيم من كثرة التفريعات والتجزيئات التي فيها، وأنها تدور في فلك الجملة الواحدة أو ما يكملها. لذا فهو يطرح تقسيما آخر بأن تكون للبلاغة مقدمة فنية تُعرّف الدارس فيها بمعنى الفن وطبيعته، ونشأته وغايته وأقسامه، ومقدمة أخرى نفسية تُعرّف الدارس بالقوى الإنسانية ذات الأثر في حياته الأدبية من إيجاد، وترتيب، وتعبير. وعلى أساس ذلك يقسَّم الدرس إلى بلاغة الألفاظ وبلاغة المعاني؛ ففي بلاغة الألفاظ «أصوات ذات جرس، ثم من حيث هي دوالّ على المعاني مُفهمة لها، ونبحث ذلك في المفرد والجملة والفقرة والقطعة، ونقسم المعاني بما يناسبها حتى ننتهي إلى دراسة فنون القول الأدبي المنظوم والمنثور منها، وما به قوام كل فن وحسنه متخطين الفنون القديمة من المقامة، والرسالة، والخطبة، إلى الفنون الحديثة من المقالة والقصة»[1]، وهو بهذا المنحى التجديدي يحقق شمولية العمل الأدبي، ومجاوزته حدود الجملة ليدور في فلك النص كاملا.

وفي سبيل منه لتربية الذوق الفني، نجده يربط غاية البلاغة بالمظاهر الاجتماعية التي تعيشها الأمة، فهو يرى أن التطور العلمي، وتطور الآلة له أثر واضح في رقي الوجدان الإنساني الفردي والاجتماعي، مما يدع الإنسان أكثر إكبارا للفن،

١- الخولي، أمين، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، لبنان، ط١، ١٩٦١، ص٢٦٧.

إذ يغدو أدق حسا وأصدق تذوقا، وهذا ما يحقق المتعة بالفن القولي والآثار الأدبية[١].

ونتيجة لهذا التطور العلمي يعرض أمين الخولي أزمة ازدواجية اللغة؛ بتجاور الفصحى إلى جانب العامية، وفي لمحاولة منه لحل هذا الإشكال، يخلص إلى القول بضرورة الاهتداء في التفكير إلى هذين الأساسين: الرغبة في ترويج فصحى صالحة لعصرها، لا فصحى من قواميسها وماضيها ومخلفاتها، ثم نزاول ذلك غير معادين للعامية، ولا ناسين ما فيها من مادة الفصحى وخصائصها[٢]. فكأنه بذلك يدعو إلى لغة ثالثة تأخذ من الفصحى مادتها، وتأخذ من العامية سهولة جريانها على الألسن.

ويستكمل أمين الخولي منهجه التجديدي، فيرى وجود صلة ذاتية دائمة بين الفلسفة والبلاغة، فكلاهما يبحث عن الجمال، وكينونته وإحساس الإنسان به[٣]. وهو في الوقت نفسه يرفض الفلسفة التي أسهمت في إبراز النزعة الجدلية الكلامية، وتسببت في إيراد تلك التقسيمات والتفريعات التي جارت فيها على الجانب الأدبي، وأفقدته روح الذوق، وصبته في قوالب جافة ظهر أثرها في علم المعاني الذي هو بحث في طرفي الجملة المسند والمسند إليه، ويصدق ذلك أيضا على علم البيان[٤].

وإذا كانت البلاغة مرتبطة بالفلسفة في إبراز الجمال، فإن هذا يستدعي بالضرورة ارتباطها بالنفس، ويقول إن النظرة البلاغية للنفس كانت موجودة عند القدامى، فتحدثوا عنها في معرض الحديث عن التخيل والتشويق والغيرة، إلا أنه يرى خلاف ذلك، إذ يقول: «إنهم كانوا يقصدون من البحث النفسي الوقوف

١- يُنظر: الخولي، أمين، فن القول، ص٢٠٧.
٢- يُنظر: المرجع السابق، ص١٧١.
٣- يُنظر: الخولي، أمين، مناهج تجديد، ص١٤٤.
٤- يُنظر: المرجع نفسه، ص١٦٦.

على حقيقة النفس وقوامها دون عناية بالخصائص، ووصف المظاهر النفسية في الحياة الإنسانية، وهي الناحية التي اتجه إليها المحدثون حين صدفوا عن تعرف المهايا والحقائق»[١]. فهو بذلك ينفي وجود رابط بين البلاغة والنفس، هذا الرابط الذي لمسه الأقدمون في الوقوف على حقيقة النفس وقوامها.

ونراه يعتد بأثر النفس في البلاغة، فيراها أصلا من الأصول المدروسة، ويستمر في هذا الاعتداد ليقيم تفسيره للإعجاز القرآني على أساس نفسي بحت. فيرى أن «القرآن قد راعى قواعد نفسية عن مظاهر الاعتقاد ومسارب الانفعال، ونواحي التأثير، وجوانب الاطمئنان وأثار من هذا ما أيد به حُجته، وأظهر دعوته وكان مثل ذلك من معرفة شؤون النفس الإنسانية لم يهتد إليه العلم بعد»[٢].

ويورد مثالا على التكرار في تفسيره النفسي، وهو يسوق رأيا للسكاكي يوافقه على تفسيره للإعجاز القرآني- مع أنه كان مخالفا له في توجهه المنطقي للبلاغة- وخلاصة هذا الرأي ترك تعليل الإعجاز، وتركيزه على الإحساس الفني، والذوق الأدبي؛ لأن الإعجاز كما يقول السكاكي «يدرك ولا يمكن وصفه»[٣]، فمرجع تفسير الإعجاز القرآني لدى الخولي يعتمد على الإدراك النفسي والإحساس الفني.

هذا هو منهج أمين الخولي في البلاغة، وقد استطاع في منهجه أن يخلق مدرسة بلاغية جديدة قائمة على الذوق الذي يتطور بتطور الأمة علميا وتقنيا، كما يبين مدى ارتباط البلاغة بعلمي الفلسفة والنفس، وارتباطها كذلك بالحياة الاجتماعية للأمة.

وقد أثارت آراء أمين الخولي ردود الفعل عند بعض الدارسين، نذكر منهم

١- الخولي، أمين، مناهج تجديد، ص١٨٥.
٢- المرجع السابق، ص٢٠٣-٢٠٤.
٣- المرجع نفسه، ص٢١٤.

على سبيل المثال شكري عياد الذي تحفظ على موقفه الوسط بين المحافظة على القديم والحماسة للجديد، فيتساءل: «كيف نصف موقفا يجمع بين إعزاز القديم وإدانته، والحماسة للجديد والتوقف فيه؟»[١]، ويأخذ عليه إلحاحه على فنية هذه البلاغة التي دعا إليها مع تأكيده في الوقت نفسه موضوعية الدراسة في كتابه (فن القول)، «فكيف اشتبه عليه الأمر في الدراسة البلاغية التي يريدها موضوعية، فجعلها فنا كفن الشاعر أو الكاتب المبدع»[٢].

ويناقش شكري عيّاد أمين الخولي في مسألة علميّة البلاغة التي أقرّها الأخير وأكّدها، فيرى شكري عياد أن العلم ليس من شأنه دائما أن يجمد ويقلد، وإنما هو كالفن سواء بسواء، كلاهما يجمدان ويركدان إذا حجرا على القول، وكبلت المشاعر. ثم يحاول رد التناقض عند الخولي في قضية العملية في دراسة الأدب إلى عدة عوامل، هي «المناخ الأدبي العام في ذلك الزمان، مع شيء من حدة المزاج عرفناها في شيخنا الجليل، إضافة إلى انشغاله في كتابه فن القول بالأهداف العملية الحيوية من تدريس البلاغة»[٣]. وهذه العوامل بمجموعها صبغت مفهوم الأدب عند الخولي بصبغة عملية خاصة.

ونسوق نقد محمد عبد المطلب لكتاب (فن القول) الذي وجد فيه اكتمالا لنظرية التواصل الثلاثية: المتكلم، والمتلقي، والكلام، وهي محاولة كما يقول «تمثل تخطيطا ما زال رهن التغيير والتعديل، وهدف التجديد والتحسين، ...كما هي محاولة تمثل موقفا وسطا، فهي لم تغفل القديم تماما، ولم تكتف بالجديد وحده، وإنما كان التلاقي بين الطرفين هو أساس الدراسة عنده، فهو متحمس للقديم وأحبه وأدانه، وأقبل على الجديد وأخذ منه بقدر وحذر»[٤].

١- عياد، شكري، اللغة والإبداع - مبادئ علم الأسلوب العربي، ناشيونال بريس، ط١، ١٩٨٨، ص٢٦.
٢- المرجع نفسه، ص٢٧.
٣- المرجع السابق، ص٢٧-٢٨.
٤- عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤، ص١١١.

وعلى الجانب الآخر، يتخذ أحمد الزيات موقفا معاكسا من ثقافة عصره، فيرى أن أسباب التنكر للبلاغة هي: السرعة، والصحافة، والتطفل[١]. فالسرعة أصابت الأذواق، فأصبحت بمنأى عن الدراسة العميقة والفهم الدقيق، فصار اهتماما بالأدب الخفيف الذي لا وزن له. وكذلك الصحافة التي أصبحت تخاطب الجمهور، فاضطرت إلى التبذل والتبسط في القول إلى درجة الإسفاف مراعاة للموضوعات التي تكتب فيها، ففشت نتيجة لذلك العامية، وطغت الركاكة. أما التطفل فقد بدا في مجال الصحافة عند أناس يدّعون المجد، ويتكلفون ما ليس في طباعهم من صناعة البيان، فيقعون في النقص، وهم يريدون الكمال.

ثم يبيّن رأيه في الذوق أنه أداة الجمال، وهو موهبة طبيعية تختلف في الناس وفي الأجناس، وتحتاج إلى المرانة بالدرس والعادة، وليس للذوق ما للعقل من سلطان واطمئنان وثبوت، فيقرر أنه «لا جدال في الذوق، لذلك لا نستطيع أن نطلقه في الأدب، حتى لا تكون الفوضى، ولا أن نقيده بالقواعد حتى لا يكون الجمود»[٢].

ويرى أحمد الزيّات أنه لا بد للذوق من استعداد العقل والعاطفة كليهما في تكوين حكمه هذا، فالعقل يظهر بمقتضى المنطق السليم، والعاطفة تظهر بمقتضى الشعور الحاصل، ومرجع كل حكم من أحكام الذوق إلى القاضي الأعلى وهو الطبيعة[٣]. ويذهب على أساس هذا المفهوم إلى القول بأنّ الوظيفة الأولى للبلاغة هي «الإقناع عن طريق التأثير، والإمتاع عن طريق التشويق، ولذلك كان اتجاهها إلى تحريك النفس أكثر، وعنايتها بتجويد الأسلوب أشد»[٤]، فيتعاور العقل والعاطفة في إظهار وظيفة البلاغة، لا سيّما إذا كان ذلك يصبّ في مصلحة جودة

١- يُنظر: الزيات، أحمد حسن، دفاع عن البلاغة، القاهرة، ط، ١٩٦٧، ص١٩.
٢- المرجع السابق، ص٣٠.
٣- يُنظر: المرجع نفسه، ص٥٧.
٤- المرجع نفسه، ص٣٩.

الصياغة وفنية الأسلوب.

ثم ينتهي أحمد الزيات إلى رأيه في الأسلوب، فهو الهندسة الروحية لملكة البلاغة، تلك البلاغة التي نعنيها هي التي لا تفصل بين العقل والذوق، ولا بين الفكرة والكلمة، ولا بين المضمون والشكل، «إذ الكلام كائن حيّ روحه المعنى، وجهه اللفظ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفسا لا يتمثل، والجسم جمادا لا يحسّ»[1]. فأحمد الزيات بمذهبه هذا يتميز بربطه الشكل بالمضمون وانضوائهما تحت الأسلوب المركب الذي يكون في عناصر مختلفة، يستمدها الفنان من ذهنه، ومن نفسه، ومن ذوقه.

ويختم أحمد الزيات دراسته للأسلوب، بالربط بينه وبين طبيعة الشخصية، فالأسلوب البليغ من لوازم القوة، لا ينفك عنها إلا في الندرة، والمراد بالقوة قوة الروح لا قوة العضل. وهذا الأسلوب إنما يقع في الأدب فيتأثر بمنحاه، فيرى أن «الأدب القويّ ما صدر عن قوة الروح، وصدق الشعور، وسموّ الإلهام، وألمعية الذهن، فدقّ معناه، وصدق لفظه واتسق أسلوبه. أما الأدب الضعيف فهو ما انقطع فيه وحي الذات عن آلة الفن، واحتجبت فيه صور الحياة عن مرآة الذهن»[2].

وبعد، فإن منهج أحمد الزيات، وإن بدا مخالفا فيه لمنهج عصره الذي طغت عليه العامية، واستحوذت الصحافة على لغة الكتابة، إلا أنه يحاول تبين الأسلوب القويم الصحيح من خلال تأثره بالمنهج الغربي آنذاك، مع محاولة لتأصيل هذا التأثر في موروث البلاغة القديم، فيظهر انتفاعه بعبد القاهر الجرجاني في مسألة الشكل والمضمون، والانتقال من اللفظة المفردة إلى مستوى الكلام المؤلف الذي ينتظمه السياق، وهو ما عرف عند الجرجاني بنظرية النظم.

١- المرجع نفسه، ص٧٤.
٢- المرجع السابق، ص١٣٧.

وكان ممن أظهَر في دعواتهم المذهب التوفيقي بين القديم والحديث محمد بركات أبو علي الذي جاءت آراؤه في البلاغة متوزعة في غير كتاب نستطيع بعد قراءتها تبين منهجه الذي بناه أولا على قضية اختلاف المصطلح في العصر الحديث، فبعضهم يجعل البلاغة باسم الصورة الأدبية أو الفنية، وبعضهم يجعلها باسم التذوق أو الأسلوب، أو فن القول أو النقد. ولكنه يعرض للمشكلة التي تواجه البلاغة العربية في العصر الحاضر، فهي تنطوي على النص البلاغي، والمجتمع المعاصر.

ثم يعرض بعض القضايا التي تواجه البلاغة اليوم، منها قضية الشاهد البلاغي، والشروح والتفسيرات وملاءمتها لروح العصر وثقافة الأمة في ذلك الوقت. وهو يرى بضرورة تقريب المدلول البلاغي في إطار قيم الحياة الحاضرة وأساليبها[١].

ويعود لينحي باللائمة على هؤلاء الذين يتهمون البلاغة بالقصور والجمود في أنهم أصحاب النظرة العجلى، إذ يعتمدون على السرعة وعدم التدقيق في النصوص، وقطع المتن عن حواشيه أو تقاريره أو شروحه[٢]. لذا فإنه يدعو إلى ربط البلاغة بالحياة، وذلك من خلال «فهم التركيب اللغوي والنحوي والصرفي للشاهد البلاغي، ثم معرفة المسائل الصوتية واللسانية، ثم فهم سياسة التوصيل والتأثير بين المتفنن والمتلقي، ثم فن الاختيار، وبذلك تكون البلاغة العربية في صورتها الصحيحة التي هي الحياة»[٣].

ومحمد أبو علي في معرض حديثه عن البلاغة الحديثة لا يريد قطعها عن

١- يُنظر: أبو علي، "محمد بركات"، بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية، دار وائل للنشر، عمّان، ط١، ٢٠٠٤، ص١٨.
٢- يُنظر: أبو علي، "محمد بركات"، كيف نقرأ تراثنا البلاغي، ط١، دار وائل للطباعة والنشر، عمّان، ط١، ١٩٩٩، ص٤٠.
٣- المرجع نفسه، ص٣٧.

البلاغة القديمة، ولا يتنكر لها، بل يجب الاجتهاد والدراسة والبحث فيما ترك لنا الأجداد من أصول وقضايا، ويخلص إلى القول: إن التجديد في البلاغة ينبغي أن يتفق مع التجديد في بلاغة أية أمة من الأمم، من حيث الأسلوب والأداء والصورة، ويجب أن يراعى في ذلك التجديد ما يمسّ العقيدة الإسلامية؛ وذلك لأن البلاغة العربية متصلة بكتاب سماويّ مقدس، ألا وهو القرآن الكريم، بالإضافة إلى صلاتها بفن القول العربي[1]. وبذا يكون منهج محمد أبو علي محافظا أشد الحفاظ على مسيرة الأقدمين في تراثهم البلاغي؛ لأنها الأصل الذي يستقي منه الحداثيون لغتهم وفنهم البلاغي، مع التعليل المقنع لتلك الثغرات التي أسقطها أدعياء اليوم على البلاغة العربية، وما فيها من أوجه القصور والعجز.

ويردّ محمد عبد المطلب على من يحاول الهجوم على البلاغة القديمة، فمن بعض آرائه في هذا المجال ردّه على ما قيل عن البلاغة إنها تركت انطباعيتها لتدخل دائرتها العلمية، يقول: «شرف للبلاغة أن تكـــون علما من أن تكون بحوثا مبعثرة لا تلتزم بخطة أو منهج يضبط حركتها، فلا نتصوّر أن تعاب دراسة ما بأنها أخذت ثوبا علميا منظما، بل الأوفق أن تكون العلمية صفة مدح لا ذم»[2].

ويرد أيضا على من يعدّ البلاغة فنّا، فيقضي بأنه لا تناقض بين الفنية والعلمية؛ لأن البلاغة فن الصنعة، ويرى أن الحركة البلاغية يجب أن تبدأ من منطقة محايدة بين العفوية والقصدية على أن تكون الغلبة النهائية للقصدية بغلافها العقلي. ويسوق تفسير (العلمية الفنية) التي طبعت البلاغة من خلال توحدها مع النقد، «فالنقد عملية تلحق العمل الأدبي لتميز فيه بين الجودة والرداءة، والبلاغة تقوم على خبرات مستمدة من معايشة النصوص لرصد أشكالها المتنوعة، فيما يتصل بالممزوج مع المواضعة اللغوية في مباحث البيان؛ من مجاز، واستعارة،

١- يُنظر: أبو علي، "محمد بركات"، بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية، ص١٩.
٢- عبد المطلب، محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص٢.

وكناية»[١].

ومن مواضع دفاعه عن البلاغة القديمة ما اتهمت فيها باقتصارها على حدود الجملة، ويعلل ذلك بظروف العصر، وسيطرة الملاحظ الجزئية في النظر إلى الواقع، ثم انعكاسها في البحث اللغوي عموما. ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يتغاضى عن الإغراق في الجزئية والانفصالية في البحث البلاغي جملة، وذلك طبقا لما قام عليه منهجه الأسلوبي كما سنرى لاحقا.

ويختم حديثه بما قيل عن البلاغة من افتقارها لروح التصنيف العلمي السديد، واعتمادها على التقويم والمعيارية، ويعقب على ذلك بضرورة الحاجة إلى إعادة النظر فيما قُرئ، أو بعث قراءة ثانية مُنصفة تنظر إلى الظاهرة في ضوء عصرها، قراءة تمتلئ بقدر كبير من التجارب؛ حتى يمكّنها أن تعيد إنتاج ما قرأته في لغة قادرة على مواكبة العصر وظواهره إبداعا ونقدا[٢]. فالبلاغة لديه، على ما فيها من ملاحظ، يمكن تطويعها لروح العصر وثقافته الراهنة، فتغدو في ثوب جديد عصريّ يمتد من القديم، ويجاري متغيرات العصر.

من جانب آخر، يدعو أحمد الشايب إلى مواجهة القصور التي مُنيت به البلاغة العربية القديمة من كثرة أبوابها وتقسيماتها الممثلة بالمعاني والبيان والبديع، محيلا بذلك إلى أنّ البلاغة العربية من حيثُ مفهومها الدال على مطابقة الكلام لمقتضى الحال، يجب أن يُنظر إليها نظرة أشمل وأعمّ، لذا نراه يحصر موضوع البلاغة في ركنين أساسيين، هما: الأسلوب، والفنون الأدبية، فالأول يدرس القواعد التي تجعل من التعبير جميلا ومؤثرا، ويدخل في إطاره الكلمة والصورة والجملة والعبارة والأسلوب، والثاني يدرس الفنون الأدبية كالقصة والمقالة

١- المرجع السابق، ص٥.
٢- يُنظر: المرجع نفسه، ص٣٣.

والخاطرة[1]. وبهذا التقسيم الذي يقترحه الشايب تتجاوز البلاغة العربية القديمة عيبا ألصق بها وهو اهتمامها فقط بالناحية الشكلية للنص الأدبي، لتتجاوزه بذلك إلى دراسة الموضوعات والفنون بصورة عامة.

وبناء على التقسيم السابق، يستبدل أحمد الشايب الأسلوب بالبلاغة العربية، ليقدّم تعريفا جديدا للأسلوب الذي هو في حقيقة الأمر بديلا عمليا عن البلاغة التقليدية، فالأسلوب الأدبي لديه «طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها؛ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه»[2]، ويتضح من الأسلوب لدى الشايب أنه يُعنى بطريقة اختيار الألفاظ لتحسن التعبير عن المعاني بقصد التأثير والإفهام، وهو عينه ما نجده من المقصد الأساسي للبلاغة التقليدية، وإن كان الشايب قد تجاوز ذلك إلى ربط الأسلوب بالفنون الأدبية الحديثة من قصة، ومقالة، وخاطرة، ناهيك عن الشعر بأغراضه التقليدية المعروفة. فتكون دراسة الشايب بذلك إعادة النظر إلى البلاغة التقليدية بصورة حداثية تتوخى الشمولية والنظرة إلى البلاغة من حيث هي طريقة وموضوع في آن واحد.

يمكن القول إنّ دعوات التجديد في البلاغة أبقت الدرس البلاغي القديم حاضرًا في الأذهان، بل أرسى المجددون له حجر الأساس في ربط البلاغة بروح العصر ومتغيراته، وظهرت صورة التراث لدى هؤلاء بصورة تبعث على الأمل بتحسين الحاضر المغيب، لا سيما ما وجدناه عند الزيات، بما يمكن وصفه بالروح الأصيلة التي شكلت قبس التجديد، مع تلمّس جوانب التأثير الغربي الذي مدّ أثره ليصبّ في الأدب العربي بعامة، والبلاغة بخاصة.

١- يُنظر: الشايب، أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩١، ص٣٧-٣٨.
٢- المرجع نفسه، ص٤٤.

المبحث الثاني: موقف من البلاغـة

تتّخذ الدعوات التجديدية في هذا الطابع موقفا سلبيا من البلاغة القديمة، وأكثر ما يدور حولها من أفكار هو الوظيفة التي تؤديها البلاغة واللغة التي توظف لخدمة المتلقي، وكانت ردود هذا الاتجاه متفاوتة في الآراء وأسلوب التناول، ولكنها تتفق - في الأغلب- على الحدّة في القول والجرأة في الرأي، وكلها تستمد واقعها ووجودها من ظروف العصر الذي تعيش فيه.

وأول هذه الدعوات الدعوة التي تبناها سلامة موسى، إذ يرى أن البلاغة العربية هي بلاغة الانفعال والعاطفة، لذلك فهو يلحّ على أن تكون البلاغة علما يراد به مخاطبة العقل، ومردّ ذلك عنده أننا أمة متطورة، والبلاغة العصرية يجب أن تكون عصرية، لا تقتصر على مخاطبة العواطف، بل تخاطب العقل، ويجب أن تكون غايتها الأولى الفهم، وما دام الأمر كذلك، فإن المنطق هو الأساس الأول لأية بلاغة يراد بها التعبير السديد[١].

ويأتي سلامة موسى برأي حول ازدواجية اللغة، وهو رأي شبيه لما أورده أمين الخولي في هذه القضية، وإن شطّ فيه سلامة إلى حد أبعد من ذلك، فيرى أن «نأخذ من العامية للكتابة، أكثر ما نستطيع ، ونأخذ من الفصحى للكلام أكثر ما نستطيع حتى نصل إلى توحيدهما»[٢]. ويسوّغ دعوته إلى العامية في القول؛ لأنها الأقرب في التعامل، أما لغة الكتابة فتصبح كأنها لغة الكهّان التي لا تتلى إلا في المعابد، وينقطع الاتصال الفسيولوجي بينها وبين المجتمع . ولذا يجب أن تكون الغاية عنده في توحيد لغتي الكلام والكتابة.

ومن أهم المخاطر التي يرصدها سلامة موسى، هو ربط البلاغة وأسلوب

١- يُنظر: موسى، سلامة، البلاغة العصرية واللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص٢٠.

٢- المرجع نفسه، ص٤٤.

الكتابة بالجانب التعليمي المدرسي، إذ يجعل البلاغة نمطا تعليميا عصريا يجب أن يتوافق مع مستويات الكتابة للطلبة في مراحل تعليمهم الأولى، واستخلص من هذا الرأي الأضرار والآفات التي تصيب الطلبة في دراستهم للبلاغة، ومنها استظهار الجمل المختارة ذات العبارات الرنانة والزخارف المبهرجة، مما أدى برأيه إلى ترك اللباب؛ أي التفكير السديد، ويورد ضررا آخر يتمثل في تعويد الطلبة على محاكاة أساليب المتقدمين، وكأنها غاية في الإنشاء، لذلك نجده يورد حلولا تسدّ النقص في تلك البلاغة، ومنها اعتماد العقل بدلا من العاطفة في التفكير الصحيح، ومقاطعة الاقتباس في الإنشاء، وتعويد الشباب على التفكير والبحث، أما الأسلوب فيمثل الناحية الأخلاقية للكاتب، وأسلوب الكتابة هو بعض أسلوب الحياة[1]، وقوله الأخير هذا يحمل معنى ضرورة تحري الصدق في التعبير عن آفاقنا الذهنية والنفسية بلغة تدور في فلك كوكبنا الذي نعيشه. فارتقاء اللغة برأيه يكمن في دقة معانيها، ووفرة كلماتها، لا بزخرفتها البديعة.

وتماشيا مع نظريته «علمية البلاغة»، يسمح سلامة موسى بتجاوز الأخطاء النحوية التي يقع فيها الطلبة ما دام الغرض الأساسي متحققا، وهو الفهم، كما يدعو إلى تسكين أواخر الكلمات؛ لأن هذا أدعى إلى تحرّي الدقة والاقتصاد في التعبير، وفهم المقصود دون اللجوء إلى ألاعيب الصغار عن الاستعارات والمجازات[2]. فبإسباغه صفة العلمية فقط على هذه البلاغة الجديدة يكون قد جرّدها من كل القيم الجمالية التي تعتبر الأساس في بلاغة العرب، وكأن إعجابه الشديد بالغرب ومدى التطور الذي وصل إليه في مناحي حياتهم جعله يتناسى أن في البلاغة العربية هذه الخصوصية الجمالية التي قد لا نجدها في أية لغة كتابية أخرى في العالم؛ لسبب بسيط وهو أن البلاغة العربية لم تنشأ إلا في حضن القرآن الكريم كتاب الله المعجز ببيانه وأسلوبه.

١- يُنظر: المرجع السابق، ص٥٧.
٢- يُنظر: المرجع نفسه، ص١٣٨.

وفي رأي مقارب لسلامة موسى حول استخدام اللغة، يدعو علي الوردي إلى التيسير في لغة الكتابة، وإلى تجريدها من الزخرفة والحذلقة اللتين اتصف بهما الأدب العربي القديم، ومردّ ذلك عنده أننا نكتب للجمهور، لا للطبقة الخاصة، فـ «الحياة الجديدة تقضي علينا أن نغير في أسلوب لغتنا، كما غيرنا من أسلوب مساكننا وملابسنا وغيرها»[١]. ويبقى مفهوم التغيير لديه أمرا ملغزا، فهو لم يوضّح المقصود بالتغيير الذي يدعو إليه، إن كان خروجا عن جمالية التعبير البلاغي أو قواعد النحو، أم كان تغييرا يطوّع فيه قواعد الكتابة مع حاجات العصر دون الخروج على قواعدها وطابعها الجمالي التعبيري.

أما عبد العزيز البشري فيعرّض بالطريقة التي قدمت فيها البلاغة باعتبارها علوما مقررة ومعارف واضحة، فإذا كانت كذلك فمن السهل على كل من يجيد علمها أن يجيء بالبليغ من القول، لذلك فهو يثور على هذا الرأي، ويواجه متقدمي الطلاب الذين درسوا علوم البلاغة في أفحل كتبها، وأعلاها مكانا، «فهم لا حظ لأكثرهم الكثير في فصاحة ولا في بيان، بل هؤلاء أشياخهم الذين استهلكوا الدهر في درس هذه الكتب وتحقيق قضاياها ومسائلها، حتى فروا أبوابها فريا، وبروا فصولها بريا، هؤلاء كثير منهم لا غناء لهم في فصاحة لسان، ولا في نصاعة بيان»[٢]. فثورة البشري هنا وُجّهت بصورة خاصّة إلى علوم البلاغة وتقسيماتها من بيان، ومعانٍ، وبديع ، آخذا الحُجّة من مستوى الطلبة الذين لم ينتفعوا من دراسة تلك العلوم، ولم يخرجوا بفائدة في البيان والتعبير، ممّا أضفى على البلاغة طابع الصعوبة والجفاء الأسلوبي.

ثم يورد آراء الأقدمين ويعرض بأسلوب البلاغة القائم على العلم، فهي

١- الوردي، علي، أسطورة الأدب الرفيع ، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٩٤، ص٥٧.
٢- البشري، عبد العزيز، ثورة على علوم البلاغة، مجلة الهلال، مصر، العدد(٣)، يناير ١٩٣٦، ص٢٦٥-٢٧٥.

نتيجة لذلك جف ماؤها، واقتصر خطابها على العقل، وكانت من قبل تخاطب الإحساس والأذواق، ثم نجده يدعو إلى أن البلاغة فن تتحصل من أثر تهيؤ الفطرة أو ما اصطلحوا على تسميته بالموهبة في هذه الأيام، وينفي في خاتمة مقاله ثورته على ضرورة إلغاء علوم البلاغة، ولكنه يدعو إلى تليينها وتمرينها؛ حتى تُصبح أشبه بالأسلوب النقدي القائم على التفطين والتذويق، بحيث تتطور مع تطور الأفهام والأذواق[1]. فالبشري يرى أن موهبة الشاعر والكاتب لا تنضج بدراسة علوم البلاغة، وإنما بطول ترديد النظر وتقليب الذهن في المأثور من روائع الآداب، واستمرار الدربة والتمرين، حتى تتحقق له هذه الموهبة، وتنشأ البلاغة في أجلى معانيها.

ممّا سبق، يمكن القول إن الآراء السابقة اتخذت موقفا من طريقة تدريس البلاغة العربية، فكانت تدور بمجملها في إطار الجانب التعليمي، وخطورة هذا الرأي تكمن في تجريد البلاغة من الجمالية التي وصفت بها، وتميزت ببيانها وأسلوبها، فالأحرى هو رفع مستوى المتعلم ليلامس مكامن جمال التعبير البلاغي، ليرتقي بذلك أسلوبه في الكتابة والتعبير، ولا يتحقق ذلك إلاّ بالدّربة ومُحاكاة النماذج الرفيعة، ليكون هناك نتاج راقٍ في التعبير يضاهي مستوى اللغة الأدبية التي تنطوي على بلاغة القول وفصل الخطاب.

المبحث الثالث: بين البلاغة العربية والنقد الغربي

في خضم هذا المد الزاخر من التيارات النقدية الوافدة من الغرب، ظهرت فئة من دارسي البلاغة تحاول استمداد هذه النظريات الجديدة، وتطويعها لخدمة البلاغة العربية، بحيث تخرج في قالب جديد مغاير لما لمحناه في تراث القدامى، وفي الوقت نفسه يشكل امتدادا لتلك الأصالة وانبعاثا منها. وأول ما يطالعنا

١- يُنظر: المرجع نفسه، ص٢٧٥.

الدرس الألسني الذي نشأ في حضن اللغة الذي عكس بعض مظاهر التأثير في البلاغة العربية.

يقول خليل كفوري: «فالألسنية تتناول النص بحد ذاته بصرف النظر عن العوامل التاريخية والسيكولوجية. والألسنية تدرس النص على حقيقته، وتبحث عن تركيبه، وقيمته اللغوية التي تلازمه في كل الظروف»[١]، فهو بذلك يرى الدراسة الألسنية دراسة مستقبلية، ولا بد للبلاغة الحديثة أن تركز عليها لتعطي حكما عادلا على النصوص.

ويخلص خليل كفوري إلى القول: إنّ للبلاغة العربية جانبًا ذوقيّا، فهي تركز على الذوق السليم كمعيار للأدب الجميل، ويدعو إلى عدم الدخول في تفاصيل معياريتها، «كتفاصيل الصورة البيانية، والصورة الفنية، والزخرف البديعي الذي يمرر نكهة الحلاوة، ويفقد النص لذته»[٢]، وينكر بذلك الطابع التفتيتي للبلاغة العربية والتقسيمات الكثيرة التي أصابتها، ويدعو إلى اكتناه جماليتها من خلال الذوق معيارا لها.

ويبين أحمد درويش مدى القصور الذي أصاب البلاغة القديمة، ومحاولة البلاغيين الجدد رأب الصدع بين القديم والحديث، من ذلك ما أشار إليه في دمج أبواب البيان في مصطلح الصورة الفنية[٣]، موضحا أن البلاغة تقوم أساسا على الإقناع، والإقناع لا يتم إلا بالحوار الذي يجسر الفجوة بين المبدع والنص والمتلقي، وهنا يشير إلى الترهل البلاغي الذي وصل إليه معاصرو السكاكي في دراسة الإقناع تحت مفهوم الاستدلال، واعتماده وسيلة لتحديد خواصه والتفنن في ذكر مصطلحاته دون أن يكون هناك محاولة جادة لتنشيط الاتصال بين

١- كفوري، خليل، نحو بلاغة جديدة، منشورات نداف، ١٩٩٤، ص٣٠.
٢- المرجع نفسه، ص٣٧.
٣- يُنظر: درويش، أحمد، النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص٥.

المبدع والمتلقي، فليس من المعقول تحقيق الإقناع بوسائل بلاغية جامدة وأساليب بائدة[1]. من هنا يأتي من الضروري توجيه النظرة إلى النص الأدبي لا العبارة الشعرية بوسائل جديدة تعيد الاتصال بأقطاب المرسلة الكلامية.

وكان لوفرة الدراسات اللسانية أثر في ظهور علم الأسلوب الذي بدأ يتضح شيئا فشيئا لدى علماء اللغة إلى أن تميز عنها، فأصبح نظامًا يكمن تحت النص الأدبي. ومع امتداد الدراسات الأسلوبية للنصوص الأدبية وتشعّبها ترددت الآراء والمقولات التي تنادي وتؤكد وراثة الأسلوبية الشرعية للبلاغة القديمة، وقيامها بديلا عنها في الدراسات الأدبية. وتعدّدت الآراء بشأن علاقة البلاغة بالأسلوبية، فشكري عيّاد مثلا يرى أنّ «القدماء تناولوا ظاهرة الأسلوب من مدخل التقاليد الفنية، وأنّ المحدثين تناولوها من مدخل التجربة النفسية، والتعبير عن الذاتية»[2]، غير أن منطلق دراسة علم الأسلوب كانت من اللغة نفسها التي صبّت اهتمامها في صميم الدراسات الأدبية.

وينطلق محمد عبد المطلب من علم الأسلوبية ليبني تصوره في تحليل مباحث البديع تصورا يعتمد على الحداثة في الرؤية للنص الشعري الحداثي من حيث الاعتماد على محاور التقابل والتماثل والاختلاف للكشف عن العلاقات الداخلية للنص الشعري، ثم يقيم تصوره أساسا على مبدأ تعاور عنصري الشكل والمحتوى لإنتاج الدلالة الشعرية، وعليه يقدم رأيه عن المباحث البلاغية القديمة لباب البديع التي كانت تدور داخل حدود الجملة الواحدة، وكان امتدادها خارج حدود الجملة نادرا، من هنا يظهر الفرق الواضح بين البلاغة والأسلوبية في أن الأخيرة تتجاوز هذه النظرة الجزئية للبنية اللغوية للبحث في العلاقات الكامنة

١- يُنظر: المرجع نفسه، ص١١.
٢- عياد، شكري، مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، فصول، مصر، المجلد(١)، العدد(١)، أكتوبر، ١٩٨٠، ص٤٩-٥٨.

في النص الشعري بتعاور محوري الشكل والمضمون[١].

من جانب آخر، يؤمن يوسف أبو العدوس بحقيقة تنامي العلوم وتطوّرها المستمر، ولا سيما في إطار العلوم الإنسانية، إلا أنه ليس من اليسير مطلقا تقبّل فكرة وراثة علم ما لعلم سابق «طالما أن هذه الوراثة تحمل في طياتها الدلالة على إفناء العلم السابق بوصفه علما مستقلا له تميزه الخاصّ»[٢]، فالتطور الطبيعي للعلوم أمر يفرضه منطق الحياة، أما إحلال علم محل علم آخر فهو أمر ينطوي على خطورة عظيمة، ما لم تقم شواهد إحلال العلم الجديد على أدلة مقنعة ونافذة. وهذا الرأي الذي يطرحه يوسف أبو العدوس ينفي إمكانية إحلال الأسلوبية -بوصفها علمًا ألسنيا حديثا- محلّ البلاغة العربية، ولا تستطيع أن تقوم مقام البلاغة، على الرغم من أنها تتناول خصوصيات التعبير الأدبي التي توافرت للبلاغة العربية.

أما صلاح فضل فيورد جملة من المفارقات بين البلاغة العربية وعلم الأسلوب؛ لينفي بدوره تطور البلاغة وانبعاثها من قبيل علم أسلوب اللغة، ومن هذه المفارقات أنّ علوم البلاغة «في جملتها معيارية لا وصفية، ومنطقية لا لغوية، وعشوائية في اختيارها للعناصر التي تعتد بها وتقف عندها من حصيلة اللغة وأشتات الأدب»[٣]، علاوة على ذلك، الجزئيات التي انطلقت منها البلاغة العربية متأثرة بالمنطق الأرسطي لا يمكن أن تتناسب مع البنية الكلية لعلم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، الأمر الذي يقتضي بطبيعة الحال اختلاف أهداف كل منهما في الرؤية والتناول.

١- يُنظر: عبد المطلب، محمد، بناء الأسلوب في شعر الحداثة- التكوين البديعي، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٩٥، ص١٠٩.
٢- أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط٤، دار المسيرة، عمّان، ط٤، ٢٠١٦، ص٦٠.
٣- فضل، صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٨٣.

وانطلاقا من علم الأسلوب الذي راج لدى الدراسات اللغوية الحديثة، يشير أحمد درويش إلى مصطلح الأسلوبية من جهة الفرق بينها وبين الأسلوب، ومن ثم ينطلق ليحدد أوجه التقائها بالبلاغة القديمة، ساعيا من جهته إلى تأسيس علم جديد يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فنراه يحدد أوجه الشبه بين الأسلوبية والبلاغة في اتخاذ كل منهما علم المعاني بؤرة لتحديد مستويات الكلام، وتبيان طبقات المتحدثين، غير أن الفرق الجوهري بينهما أن الأسلوبية اتجهت إلى تحديد صفات الكاتب الفرد، دون النظر إلى طبقات المجتمع، إضافة إلى أنها تجاوزت المعيارية في دراساتها الأدبية لتنطلق على أساس وصفي بحت[1].

ويطرح سعد مصلوح مشكلة العلاقة بين علم البلاغة والأسلوبية الحديثة، فالبلاغة العربية في عصورها المتعاقبة ظلت وفية للغاية التي انتدبت لها، في حين إن الأسلوبية باتجاهاتها ذات الصلة الوثيقة باللسانيات الغربية غريبة وافدة علينا، «ومن هنا تأتي الصعوبة في صياغة العلاقة بين علم رسا ورسخ، وآخر لا يزال يتلمّس طريقه إلى ثقافتنا غريبا حذرا»[2].

وعلى صعيد آخر، ينطلق سعد مصلوح من تعريف علم الأسلوب؛ ليوجه القصور الذي مُنيت به البلاغة العربية، فتكون بذلك الأسلوبية وريثا شرعيا للبلاغة، فالأسلوب عنده يستند إلى مبادئ ثلاثة؛ أولها يركز على العلاقة بين المنشئ والنص، فيصبح تلمس مفاتيح الأسلوب مرتبطا بشخصية المنشئ ومنعكسا في اختياراته حال ممارسته للإبداع الفني، وثاني هذه المبادئ يهتم بالعلاقة بين النص والمتلقي، وهنا يتم تلمّس مفاتيح الأسلوب في ردود الأفعال والاستجابات التي يبديها القارئ حيال المنبهات الأسلوبية الكامنة في النص،

١- درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٩.

٢- مصلوح، سعد، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية- آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ط١، ٢٠٠٣، ص٢٢.

ومن ثم يكون الأسلوب قوة ضاغطة على حساسية المتلقي، أما ثالث هذه المبادئ فيرى بضرورة عزل طرفي عملية الاتصال، وهما المنشئ والمتلقي، وهنا يتم التماس مفاتيح الأسلوب في وصف النص وصفا لغويا[١]. وبذلك يصبح مجال الدراسات الأسلوبية ضيقا جدا؛ إذ إنها تتوسل بالتعبير الجمالي لتحديد مستويات النصّ الإبداعي.

ويُفضي الحديث السابق عن علاقة الأسلوبية بالبلاغة العربية، إلى الحديث عن نظرية الاتصال الكتابي، وقد لا نجد لها رديفا في البحث البلاغي القديم الذي ركز على «التنوع التعبيري والتعدد التركيبي من خلال استقلالية صياغية، تفصل الأسلوب عن طرفي الاتصال: المبدع والمتلقي، فلا يُطلب من الأسلوب إلا ملاءمته لما يعنيه»[٢]. ويُعطي هذا القصور في البلاغة الحق للأسلوبية الحديثة أن تكون وريثة شرعية للبلاغة القديمة، ذلك أن الأخيرة تولي اهتماما خاصّا بالمتلقي، كما أنها تُتّهم بأسلوبها التقويمي، في حين تزاوج الأسلوبية الحديثة بين المبدع والمتلقي في العملية الإنتاجية للكلام، وتَنتهج طابعا وصفيا للظاهرة اللغوية، يخلو من التقويم في غالب الأحيان.

وفي هذا السياق يشير عبد الملك مرتاض في حديثه عن نظرية البلاغة الجديدة إلى أهمية تحديد الوظيفة الجديدة للبلاغة باعتبارها تقوم على التكافؤ بين عنصري الاستقبال والتلقي، وهو مفهوم جديد بدوره يتجاوز النظرة القديمة التي أشبعت الحديث عن المرسل فقط إلى إدراج عنصر التلقي في المنظومة البلاغية الجديدة، فمصطلح بلاغة التلقي يحيل إلى «شبكة من الإجراءات تسعى إلى تأسيس حقل لجمالية التلقي المحترف يحايث المستوى الفني الذي يستوي فيه النص الأدبي

١- يُنظر: مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٨٠ص٢٩.

٢- عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص١٢٠.

بكل الثقل الدلالي والجمالي الذي يمثل عليه»[1]. وبذلك يمكن دراسة النصوص الشعرية قديما بحسب هذه البلاغة الجديدة التي تجمع بين عنصري الاستقبال والتلقي.

وعلى المنوال نفسه، يرسم محمد مشبال رؤية تصورية جديدة للبلاغة تعتمد على مفهوم القراءة الواعية، من خلال توظيف مفاهيم «الغرض»، و«الالتفات»، و«الصورة»، في نماذج شعرية مختارة من الأدب القديم، فوظيفة المتلقي أو الناقد هي «المواظبة من أجل تعليل القيمة الجمالية وتفسير الاستجابة إليها، وأن يتجاوز تعليله الإشارة إلى العبارة، وعلى هذا النحو تصبح القراءة تفسيرا للتأثير الذي يحصل فينا بعد تأمل المعاني الخفية»[2]. وهذا الدور بحد ذاته لا ينهض به إلا قارئ واعٍ مدرك لمكامن الجمال في التعبير الأدبي ليستنطق مظاهره استنطاقا يقوم على التفسير لا إصدار الحكم المعياري.

ومع ظهور نظرية الاتصال الجديدة، وتعدد وسائل الإعلام، يتولّد مفهوم جديد للبلاغة، يُفيد من عناصر الاتصال، ومن تحقيق التفاعل الإيجابي بين المرسل والمستقبل، وهذا ما دعا كل من خفاجي وشرف إلى طرح قانون إعلامي «يذهب إلى أنّ البلاغة الجديدة ترتبط بكل جنس إعلامي، ذلك أنّ كلّ جنس أو وسيلة من وسائل الإعلام أثار كل منهما أملا، وأثار سخطا، وأصبح كل منهما وسيلة للتأثير ذات قوة وسيطرة على عقول الناس»[3]، وهنا يظهر الأثر التقني والتكنولوجي في رفد البلاغة العربية بمعطيات الحضارة الجديدة، وإكمال ما نقص في موادها الأساسية.

١- مرتاض، عبد الملك، نظرية البلاغة، ص٢٢٣-٢٢٤.
٢- مشبال، محمد، مقولات بلاغية في تحليل الشعر، ط١، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٣، ص٤٩.
٣- خفاجي، محمد عبد المنعم، وشرف عبد العزيز، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ص٥٨.

فالبلاغة الجديدة تكتسب خاصيّة جديدة، «فهي تعبر عن حاجة العصر إلى لغة اتصالية جديدة، وهذه البلاغة الجديدة ليست منفصلة عن النظريات القديمة، كما أنها ليست عرضا لتاريخ العلوم التطبيقية على المجال الإنساني، ولكنها استجابة شرطية لما أفادته اللغة الفنية من طاقات جديدة»[١]، ولا سيما إذا علمنا أنّ (بلغ) تعني «وصل وانتهى، ...والإبلاغ: الإيصال»[٢]، ومعنى ذلك أنّ البلاغة تتضمّن في أصل معناها رسالة يتم تبليغها من قبل المرسل إلى المرسَل إليه، أمّا الاتصال بالمفهوم الحديث، فهو «عملية نقل هادفة للمعلومات، من شخص إلى آخر، بغرض إيجاد نوع من التفاهم المتبادل بينهما»[٣]، وهذا التعريف يُشبه المعنى المعجمي لدلالة البلاغة في أنّ كليهما يتضمّن رسالة من المرسل إلى المتلقي، وإن كان يُضيف عليه فكرة التفاهم المتبادل بين طرفي الرسالة. وبذلك يتوخى الاتّصال نقل اللغة من حيث هي دوالّ وعلامات يتنقل أثرها إلى المتلقي في نسق اجتماعي معين، ولعلّ هذا كان من أحد الأسباب الرئيسة في ظهور ما يُسمى بالتداولية.

فالتداولية منهج حديث دخل الدراسات اللسانية المعاصرة، يقوم على «الاهتمام بكشف الدوافع النفسية للمتكلمين وردود أفعال المتلقين، ويبين الطابع الاجتماعي للكلام»[٤]، فالتداولية لا تكتفي بدراسة المتكلم والمتلقي وأحوال كل منهما فحسب، بل تدرسه بوصفه «نتاج ثقافة عصر معيّن، ويشتمل على سمات مميزة للشخص المرسل، وسمات مميزة للشخص المتلقي، وهو يخضع لزمن إنتاجه وزمن تلقيه، كما يخضع لمكان إنتاجه وتلقيه أيضا»[٥]. وممّا سبق يُلمح التقارب البيّن

١- المرجع نفسه، ص١٦.
٢- ابن منظور، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، م٨، ط٣، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤، ص٤١٩.
٣- السكارنة، بلال خلف، مهارات الاتصال، دار المسيرة، عمّان، ط١، ٢٠١٥، ص٢٤.
٤- الكواز، محمد كريم، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص٢٧٩.
٥- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

بين ما تحتويه التداولية من عناصر الاتصال الثلاث: المرسل، والمتلقي، والرسالة، والاتصال بمفهومه الحديث، علاوة على ذلك، فالتداولية تهتمّ بدراسة ثقافة مجتمع معيّن في عصر معيّن للخروج بسمات مميزة له في مجال الكلام والتلفظ.

وهذا التطوّر الذي أصاب بلاغة الخطاب في ظل التداولية يجعلها تتخذ منطقا علميا يدور في فلك الاتصال الذي أنجب البلاغة الجديدة، معنى ذلك أن مجموعة الخصائص التي تنظم الخطاب الأدبي لا تنتمي كلها إلى النظام اللغوي وحده فحسب، «فالقواعد العُرفية، وشروط تأويل الدلالة، والإشارة السيميولوجية، والمفاهيم التي تُستخدم في معرفة العالم وفي العمل والوظائف النفعية قد اندمجت كلها بسلاسة في مهمة تحليل الخطاب الأدبي»[1]، وبذلك تصبح مقوّمات تحليل الخطاب الأخرى إلى جانب اللغة عاملا مهمّا في إثراء عملية التواصل بين طرفي الاتصال، بالإضافة إلى تحقيق فعالية النصّ الأدبي وإمكانية فهمه وتداوله في إطار المجتمع الذي يتعامل به، من هنا يأتي مفهوم التداولية هذا «ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يُشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة «مقتضى الحال»، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية: لكل مقام مقال»[2]، وهذا ما يؤكد العلاقة التي تربط بنية النص الأدبي بعناصر الموقف التواصلي في إطار الظروف والأسباب التي أدتّ إلى ظهوره.

وانطلاقا من هذا التصور الجديد للبلاغة في ظل التداولية، فإنها اهتمت بعرض وسائل الإقناع والاستدلال التي كانت معروفة في الدرس البلاغي التقليدي، برؤية جديدة تتخذ من الحِجاج مُسمّى لها، فأصبحت البلاغة الجديدة تعرف بأنها «نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى

١- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، ١١.
٢- المرجع نفسه، ص٢١.

إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عرض الحُجج»[١]. وتهتم البلاغة الجديدة وفق هذا المنظور الحجاجي بتراتبية الحجج على أسس معينة مدروسة، تسمح بإثراء النص الأدبي بمدلولات ونتائج جديدة.

الخاتمة

بعد تتبّع آراء النقاد ودعواتهم بشأن البلاغة العربية، أمكن الخروج بالملاحظات والنتائج الآتية:

أولا: كانت للبلاغة العربية في العصور القديمة وظيفتان: فنية وعلمية، فالأولى تحددت صفاتها من المدرسة الأدبية التي اعتمدت في منهجها على بعض الملاحظ والآراء التي تناثرت في كتب الأقدمين كالجاحظ، وابن الأثير والجرجاني. أما الثانية فقد غلب عليها التقسيمات العلمية والتفريعات الدقيقة، وغلبة المصطلحات البلاغية، وقد استقت خصائصها من المدرسة الكلامية التي حمل لواءها السكاكي والمتأخرون بعده.

ثانيا: جاء العصر الحديث، وتعالت الآراء التي كتبت عن البلاغة، وانقسمت إلى ثلاث فئات من الاتجاهات، بحسب نظرتها لتلك المدرستين التي بنيت عليهما البلاغة قديما، فالاتجاه الأول كان يحمل لواء التجديد لبعض الأفكار القديمة، وتغييرها مواءمة منهم لثقافة العصر، ومستجدات الحضارة الإنسانية، وكان الخولي من أهم من مثل هذا الجانب، وكان من أبرز آرائه ربط البلاغة بالفلسفة الجمالية، وبعلم النفس، وقد بنى على هذا الأخير تفسيره للإعجاز القرآني.

أما الاتجاه الثاني، فقد شكل ثورة واعتراضا لحال البلاغة المعاصرة التي يعيشها أبناء الأمــة اليوم، وقد اختلفت الآراء في هذا الاتجاه بين ضرورة اعتبار

١- الحباشنة، صابر، التداولية والحجاج- مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨، ص١٥.

البلاغة علما له أسسه وقواعده كما وجدناه عند سلامة موسى، أو اعتبارها فنا يقام على الدربة والمران والذوق كما هو عند البشري.

ويبقى الاتجاه الثالث الذي توضحت معالمه من خلال الانتفاع من معطيات النقد الغربي، فابتدأت باللسانيات التي أشار إليها خليل كفوري، وانتهت لتجعل البلاغة متبلورة في علم الأسلوب الذي بنى أسسا وقواعد قويمة، فأصبح وريثا شرعيا للبلاغة العربية، ومجددا لها على أوسع نطاق.

وتأتي التداولية بوصفها علما جديدا أفاد من معطيات اللغة والسياق لتشكل امتدادا للمفهوم التقليدي الذي عُرفت فيه البلاغة العربية، وهذا وإن دلّ على شيء فإنه يدل على قدرة البلاغة العربية على مواكبة النظريات والعلوم اللسانية الحديثة، ومرونتها في تطويع اللغة لتخدم الواقع الراهن الذي تُعد اللغة والخطاب أحد أهم مكوناته الفكرية والعلمية.

ثالثا: إن الناظر إلى حال البلاغة اليوم يفاجأ بتلك الطريقة التي تعرض فيها بلاغتنا القديمة، تلك التي يغلب عليها التقسيمات والتفريعات العقيمة لعناصر بلاغية يطالب بها طلابنا بدراستها واستيعابها، دون تلمس الجوانب الجمالية التي تضفيها تلك العناصر على العمل الأدبي. فحريّ بهؤلاء إعادة النظر في المنهجية التي تقدم فيها البلاغة، ليكون في الحسبان أنها علم جمالي هدفه استخلاص مكامن الجمال من النص الأدبي ككل، قبل أن تكون قوالب جافة تدرس النص في نطاق الجملة الواحدة أو البيت الواحد، وما استطاعت هذه الجزيئات برأينا أن تنجب بلاغيين لهم القدرة على التأليف، بل هي، كما نظن، استطاعت أن تخلق منظرين لقواعد البلاغة، تعتمد على الحفظ والاقتباس لا على الفهم والإبداع.

التوصيات:

يوصي البحث بتتبع الدراسات اللغوية التي تناولت مبحث البلاغة في الدرس النقدي الحديث، ولا سيما دراسات الحِجاج البلاغي التي انبثقت عن التداولية، ومدى تناولها لمباحث البلاغة التقليدية وطرق معالجتها.

كما يوصي بتناول دراسة نصية على وفق المنهج البلاغي، وتبصّر أدوات البلاغة القديمة في ظل المعالجة النقدية الحديثة، ومحاولة تطويع الأدوات البلاغية لسياق الحال والمقام.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ج١، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٩.
- البشري، عبد العزيز، ثورة على علوم البلاغة، مجلة الهلال، مصر، العدد(٣)، يناير ١٩٣٦.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ج١، دار الجيل، بيروت، ط٢، د.ت.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، دمشق، ط١، ٢٠٠٧.
- الحباشنة، صابر، التداولية والحجاج- مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨.
- خفاجي، محمد عبد المنعم، وشرف عبد العزيز، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
- الخولي، أمين، فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.
- ـــــــــ، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، دار المعرفة، لبنان، ط١، ١٩٦١.
- درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.
- ـــــــــــــــ، النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨.
- الزيات، أحمد حسن، دفاع عن البلاغة، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧.
- السكارنة، بلال خلف، مهارات الاتصال، دار المسيرة، عمّان، ط١، ٢٠١٥.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي(٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

- الشايب، أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٩١.
- ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٦٥.
- عبد المطلب، محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
- ـــــــــــــ، البلاغة والأسلوبية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.
- ـــــــــــــ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة- التكوين البديعي، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٩٥.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢، د.ت.
- أبو علي، «محمد بركات» حمدي، البلاغة عرض وتوجيه وتفسير، عمّان، ط١، ١٩٨٣.
- ـــــــــــــــــــــــ، بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية، دار وائل للنشر، عمّان، ط١، ٢٠٠٤.
- ـــــــــــــــــــــــ، كيف نقرأ تراثنا البلاغي، دار وائل للطباعة والنشر، عمّان، ط١، ١٩٩٩.
- أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة، عمّان، ط٤، ٢٠١٦.
- عبد المجيد، جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠.
- عياد، شكري، مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، فصول، مصر، المجلد(١)، العدد(١)، أكتوبر، ١٩٨٠.
- ـــــــــــــــ، اللغة والإبداع - مبادئ علم الأسلوب العربي، ناشيونال بريس، ط١، ١٩٨٨.
- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨.

- ـــــــــــــــــــ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، القاهرة، ١٩٩٨.
- كفوري، خليل، نحو بلاغة جديدة، منشورات نداف، ١٩٩٤.
- الكواز، محمد كريم، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.
- مرتاض، عبد الملك، نظرية البلاغة، دار القدس العربي، الجزائر، ط٢، ٢٠١٠.
- مشبال، محمد، مقولات بلاغية في تحليل الشعر، ط١، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٣.
- مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٨٠.
- ـــــــــــــــــــ، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية- آفاق جديدة، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ط١، ٢٠٠٣.
- ابن منظور، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، م٨، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.
- موسى، سلامة، البلاغة العصرية واللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
- الوردي، علي، أسطورة الأدب الرفيع، دار كوفان، لندن، ط٢، ١٩٩٤.

المراجع مترجمة:

- Ibn AL-Atheer, dia' AD-Deen, AL-mathal AS-sa'er fi aladab FI AL-kateb wa ash-sha'er, investigated by: Mohammad Muhiee AD-Deen 'Abd AL-Hamid, part 1, Mustafa AL-babi AL-halabi and sons bookshop and press company, Egypt, 1939.
- AL-Bishri, abd AL-Azeez, Thawra 'Ala Olom AL-Balagha, AL-Hilal magazine, Egypt, issue (3), January 1936.
- AL-Jahith, Abu 'Othman amr bin bahar, ALByan wa AT-Tabyeen, investigated by: Abd AS-Salam Haroon, part 1, dar aljeel, Beirut,2ND edition. N.D.
- AL-Jorjani, abd AL-Kahir, dala'il AL-'Aja'iz, investigated by: Muhammad Ridwan adayah, and Fayez adayah, Damascus, 1ST edition, 2007.
- Al-Habashnah, Saber, Atadaowleh Wa Al-Hajaj - Madakhel Wa Nosoos, Safahat For Studies And Publishing, Damascus, 1st Edition, 2008.
- Khafaje, Muhammad abd AL-Mun'em, and Sharaf abd AL-Aziz, AL-Balagha AL-'Arabeah bayn AL-taq'leed wa AT-tajdeed, dar AL-jeel, Beirut, 1ST edition, 1992.
- AL-Khoole, Ameen, fan AL-q'awl, dar AL-kotob AL-masreah press, Cairo, 1996.
- _____, manahej tajdeed fe AL-naho wa AL-balagha wa at-tafseer wa AL-a'adab, dar AL-maarifa, Lebanon, 1ST edition, 1961.
- Darweesh, Ahmad, Derasah Al-Osloob Bayn Al-Mo'asarah Wa Al-Torath, Dar Ghareeb For Printing And Publishing And Distribution, Cario, 1998.
- _____, Al-Balaghe Fe Al-Torath Al-Arabi Wa Al-Orope, Dar Ghareeb For Printing And Publishing And Distribution, Cario, 1998.
- Az-zaiat, Ahmad Hasan, defa'a 'an AL-balagha, Cairo, 2ND edition, 1967.
- As-sakarnah, Belal Khalaf, maharat AL-etesal, dar AL-maserah, Amman, 1ST edition, 2015.
- Al-Sakaki, Abo Yaqoob Yusuf Ben Abe Baker Mohammad Ben Ali (626 Hijri), Moftah Al-Oloom, Tahqeeq, Naeem Zarzoor, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Beirut, 2nd Edition, 1987.
- Ashaeib, Ahmad, AL-oslob derasah balagheah tahleleah LEOSOOL AL-a'saleeb AL-a'adabeah, AL-nahda egyptian library, Cairo, 8TH edition, 1991.
- Daif, Shawki, AL-balagha tatawor wa tarekh, dar AL-ma'arif, Cairo, 6TH edition, 1965.

- Abd AL-Motalib, Mohammad, AL-balagha AL-arabeah kera'ah okhrah, Lebanon library nashroon, Beirut, 1ST edition, 1997.
- _____, AL-balagha wa AL-oslobeah, Cairo: general egyptian book organization, Cairo, 1984.
- AL-A'askari, abo Helal AL-Hasan ben abd allah ben sahl, ketab AL-sena'atain, investigated by: Ali Mohammad AL-Bajawi and mohammad abo AL-fadl ibrahim, iesa AL-babi AL-halabi and his companion, 2ND edition, N.D.
- Abo Ali, «Mohammad Barakat» Hamdi, AL-balagha a'ard wa tawjeh wa tafseer, publishers and distributors, Amman, 1ST edition, 1983.
- _____, balaghtuna AL-yaum bayn AL-jamaleah wa AL-wathefeah, dar wa'el for publishing, Amman, 1ST edition, 2004.
- _____, kaef naq'ra' torathana AL-balaghi, dar wa'el for printing and publishing, Amman, 1ST edition, 1999.
- Abo AL-'Adoos, Yusuf, AL-oslobeah AL-ro'ya wa AL-tatbiq', dar AL-maserah, Amman, 4TH edition, 2016.
- Abd AL-majeed, Jameel, AL-balagha wa AL-etesal, dar AL-ghareeb, Cairo, 2000.
- Ayad, Shukri, mafhoom AL-osloob bayn AL-torath AL-naq'de wa muhawalat at-tajdeed, Fosool, Egypt, folder (1), issue (1), October, 1980.
- _____, AL-logha wa AL-ebda'a - mabade' 'elm AL-osloob AL-arabi, national press, 1ST edition, 1988.
- Fadel, Salah, balagha AL-khetab wa 'elm an-nas, alam AL-ma'arifa, AL-Kuwait, 1978.
- _____, elm AL-osloob mabadeoh wa ejra'atoh, Cairo, 1968.
- Kfori, Khaleel, naho balagha jadedah, nadaf publications, 1994.
- AL-Kawaz,Mohammad AL-Kareem, AL-balagha wa AL-naq'd AL-mostalah wa AL-nasha'ah wa AL-tajdeed, arab diffusion institution, Beirut, 1ST edition, 2006.
- Maslooh, sa'ed, AL-osloob derasah loghaweah ehsa'eah, dar AL-bohoth AL-elmeah, AL-Kuwait, 1ST edition, 1980.
- _____,Fe Al-Balaghah Al-Arabiah Wa Al-Osloobyat Al-Lesanyah - Affaq Jadeedah, Academic Publication Council, Kuwait University, 1st Edition, 2003.

- Eben Manthoor, Jamal AD-Deen AL-Ansari, lesan AL-arab, folder (8), dar AL-sader, Beirut, 3RD edition, 1994.
- Musa, Salamah, AL-balagha AL-asreah wa AL-logha AL-arabiah, hendawi institution for education and culture, Cairo, 2012.
- AL-Wardi, Ali, ostorah AL-adab AL-rafee', dar kofan, London, 2ND edition, 1994.